اسبيرو جبّور
كنائس الشرق الأوسط
الذكرى 1550 لمجمع خلقيدونيا
)2(

1 - أوضاع الكنائس المسيحيّة في العام 1995

1- في العام 1964، انعقد اللقاء الأول بين الكنيسة الأرثوذكسيّة والكنائس القبطيّة والسريانيّة والأرمنيّة والحبشيّة، فكان لقاء 1967 لاهوتياً ناجحاً. وصدر بيان جنيف 1970 ثم بيان البلمند 1971 الذي نشرتُه كملحق لكتاب "سرّ التدبير الإلهي". وتتالت اللقاءات. أدرك الطرف الآخر أنّ الصراع الذي نشأ في القرنين الخامس والسادس قام على سوء فهم للألفاظ اللاهوتيّة اليونانيّة. فلغة اللاهوت الأولى هي اليونانيّة كما سيجيء.
هذا الإعتراف يعني أن الخلاف قام على ألفاظ يونانيّة لا على العرق واللغة والقوميّة، وإن بقيت تحفّظات عديدة. فلم يعترف الطرف الآخر صراحةً بالمجامع السبعة المسكونيّة، الأمر الذي لا بدّ منه لتصير كنائسنا وروما وأتباعها في الشرق (الموارنة والروم والسريان والأقباط والأرمن الكاثوليك والكلدان) موحَّدين في تراث القرون الثمانية بل العشرة الأولى. ولم يقدّم كل فريق اعتراف إيمان كامل يشمل اللاهوت والليتورجيا والحق الكنسي. ولم يطرق الفريق الأرثوذكسي موضوع التقنيم الذي لفتَ الأنظار إليه فكتب إليّ المرحوم الأب جان مايندورف شاكراً ومعترفاً بأنّ التقنيم هو لبّ العقيدة الخلقيدونيّة، وأنّ الاعتراف بالمجامع السبعة ضروري. فتراجع بذلك عن اضطراب أفكاره الذي لامه عليه Larchet.[1]
2- أرشمندريت الأشوريّين في لبنان كتب مقالاً في جريدة "النهار" الغرّاء معلناً القربى بين كنيسته وكنيستنا. فرددت بمقال فيها في 1993/8/14 يضع الأمور في نصابها. فهم يتبعون تعاليم ثيئوذوروس الأنطاكي أسقف المَصِّيصة (موبسويسته) قرب الإسكندرون. هذا كتب باليونانيّة. فتعليمهم إنطاكي إذاً. ومنهم خرج الكاتب النسكي الكبير اسحق النينوي الذي أثبت التحقيق المعاصر أن مصادره يونانيّة مترجمة إلى السريانيّة. ولكن لا بدّ من الإعتراف بالمجامع السبعة واستقصاء كل النقاط: جردة كاملة[2].
اللوثيريّون اعترفوا بأن إيمانهم هو إيمان الكنيسة الأرثوذكسيّة. وعلمتُ أنّ أحد أساتذة لاهوتهم في ألمانيا أعلن أن لوثر - لو عرف الأرثوذكسيّة - لما قامت البروتستانتيّة. وأعلمني أحد زوّار

---

[1] عاد بعض كتّابهم الى عبارات الشماس وهيب عطاالله التي ذكرتُها في (سر التدبير): أقنوم من اقنومين وطبيعة من طبيعتين وفعل من فعلين ومشيئة من مشيئتين ولا نستطيع ان نقول ان يسوع إله وإنسان (راجع مقالنا في كتاب "سألتني فأجبتك").
عبارة "أقنوم من اقنومين وطبيعة من طبيعتين وفعل من فعلين ومشيئة من مشيئتين" رد فعل على النسطورية ولكن بعبارة نسطورية تعترف بالاتحاد. ولكنه اتحاد "مشوش". فالطبيعة البشرية لم تكن موجودة قبل التجسد بل في لحظة التجسد.
التجسد هو انضمام الطبيعة البشرية من روح وجسد الى اقنوم يسوع في لحظة واحدة. واستعمال لفظة (أقنومان) تجعل الاتحاد مستحيلاً لأن الأقنومان لا يتحدان. تجب ازالة التناقد.
النساطرة استعملوا عبارة (أقنومان وطبيعتان) فرفضناهم لأن يسوع اقنوم واحد في طبيعتين غير ممتزجتين أو متحولتين.
الارثوذكسية ترفض كلياً (لفظة أقنومان) سواءً قال النساطرة بتجاورهما او قال غير الخلقودينيين يصيرونهما أقنوماً واحداً. فلا الاقنومان يتحدان ولا الاقنومان يصيران اقنوماً واحداً (راجع سر التدبير).

[2] خلافاً لزعم الارشمندريت المذكور، ليست اية قرابة بيننا لانه نساطرة كما جاء في كتاب أصدره مجلس كنائس الشرق الاوسط فاعترف فيه مرجعهم بانهم نساطرة.

ألمانيا (الأب آميل أبو مراد) أن اللوثيريّين في ألمانيا (نابز) متعصّبون جداً لليونان القديمة، بينما يتعصّب الكاثوليك للرومان القدماء. ومن المعلوم أنّ تدريس الفلسفة اليونانيّة القديمة هو في ألمانيا على أشدّه في العالم. وتعليم اليونانيّة القديمة في بون أهمّ بدرجات من تعليمها في أثينا، وإن كان أفضل معجم يوناني هو المعجم اليوناني-الإنكليزي الذي تلاه **Bailly** المجدَّد الفرنسي). ولكني لا أستحسن هذا التعصّب. المسيح قلب أثينا وروما. ولا أؤيّد الفلاسفة الألمان المعاصرين، بل القدامى المتصوّفين (المعلم إيكهارت ووو...). وأرفض العقلانيّين الألمان الهيجليّين.

3- اللوثريّة والأنكليكانيّة متعطّشتان إلى الأصالة. لن تجداها إلاّ في الأرثوذكسيّة. في حديث مع كاهن أنكليكاني فهيم رشّح شعوره بالرغبة في اتّحاد الأنكليكانيّة بالأرثوذكسيّة.

4- أمّا الأخت الكبرى روما فقد اعترفت في معاجمها:

أ- معجم التاريخ والجغرافيا الكنسيَّين الفرنسي الضخم رسم في المجلّد 3 (583 - 584) جدولاً بالكنائس المتفرّعة عن كنيسة أنطاكيا. جعل كنيستنا أصل الشجرة الأنطاكية في المشرق كلّه بما فيه قبرص وكنيسة فارس الواسعة الإنتشار.. فقد بلغت الصين. وكانت جورجيا تابعة لها حتى أواسط القرن الثامن.

ب- معجم الروحانيّة الفرنسي قال: "تُستمدّ الكنيسة اللاتينيّة من الكنيسة اليونانيّة مثل الغصن على الجذع" (راجع ص. 70 من كتابنا "فادي وذسبينا"). فلفظة "يونانيّة" هنا تعني الكنيسة الأولى لا أثينا وبلادها. ولفظة "لاتينيّة" تعني روما.

هذه الكنائس أخوات في انتظار ساعة الصفر لتصفّي رواسب الماضي البغيض. جذورها جميعاً يونانيّة. لماذا؟

2- الغزو الثقافي اليوناني في العالم القديم

شجّع الفيلسوف الشهير أرسطو تلميذه اسكندر المكدوني على الفتوح لنشر الفكر اليوناني، فوصل الصين. وانقسمت المملكة بعده إلى سوريّة عاصمتها أنطاكيا، ومصريّة عاصمتها الإسكندريّة. سوريا تشمل في العام 270 قبل الميلاد قسماً هاماً من كبادوكيا وتصل حتى الخليج العربي وحتى بحر قزوين وأرمينيا. من ضمنها أكباتن (أفغانستان). تصل إلى بحر مرمره فتشمل لامبساك. معظم كبادوكيا تابع لها.

كان في ملفّاتي صورة لتمثال بوذا المنسوخ عن تمثال أبولون اليوناني. أسَّس اليونان مدناً عديدة منها لإسكندريّة والإسكندرون وأنطاكيا وسلوقية أنطاكيا (السويديّة) واللاذقيّة وأفاميا وسلوقية العراق عاصمة الفرس بعد الميلاد.

نشر اليونان ثقافتهم في حوض المتوسط وسواه، فصارت الإسكندريّة قلعة الفلسفة والعلم اليونانيّين. وصارت سوريا في القرن الثاني قبل الميلاد بدلاً من أثينا في الآداب والفنون الجميلة. فقد ازدهر فيها الفنّ اليوناني كثيراً. وزيارة متاحفها ومتاحف أوروبا وأميركا تدهش الزائر بالفنّ السوري. وصارت المدن السوريّة قلاعاً ثقافيّة يونانيّة. ومعجم التاريخ والجغرافيا المذكور أعلاه يؤكّد أنّ كل صاحب نصيب من الثقافة غربي الفرات كان يُلمّ باليونانيّة. وفي القرن السادس بعد الميلاد كانت غزّة بفلسطين أهمّ من أثينا لتعليم اليونانيّة. وأشهر خطباء المسيحيّة هو يوحنّا فم الذهب الأنطاكي. وبسبب دخول كبادوكيا في دولة سوريا اليونانيّة اطلق اليونان والرومان على أهلها اسم "السوريّون البيض". ومنها خرج صانعو اللاهوت المسيحي الكبار باسيليوس الكبير وأخوه غريغوريوس النيصصي وصديقه غريغوريوس اللاهوتي (القرن الرابع)، إلى جانب أثناسيوس الإسكندريّة. مدائح باسيليوس لأنطاكيا خالدة. محبّة الثلاثة لأسقفها ملاتيوس أبديّة. الأوّلان تلميذان لليبانيوس الأنطاكي. الثالث كاتبه وطالعه وتتلمذ عليه صديقهم ومواطنهم أمفيلوخيوس.

رومانوس الحمصي (حوالي 555) هو أكبر شاعر مسيحي باليونانيّة، وفي سواها كما أعتقد. سيرد الكثير عن ذلك لاحقاً[3].

جغرافياً أنشأ اليونان رابطة المدن العشر الوارد ذكرها في الإنجيل (متى 25:4 و...)[(3)] تشمل خط دمشق-جرش-عمان شرقاً فالضفّة الشرقيّة لنهر الأردن، فضلاً عن بيسان (اسكيثوبوليس) في غربه. زارها المسيح مرّتين وبشّر فيها. شفى فيها ممسوس جدره والأخرس وكسر فيها الخبز في المرة الثانية. مرّ عليها وهو خارج من صور وصيدا والبقاع فشرقي جبل الشيخ ماراً بالجولان. لم أستطع أن أحدّد طريقه بالدقة وإن قال التفسير الفرنسي (بيرو وكلامير) إنه عبر جسر بنات يعقوب (أي على طريق القنيطرة (سوريا) - الجاعونة (فلسطين) إلى كفرناحوم على الضفّة الغربيّة لبحيرة طبريّا)، وإن قال غيره إنه دخل دمشق (بطرس ضو)[(4)].

هذه المدن العشر تَيَوْنَنَتْ. نيقولاوس الفيلسوف الدمشقي كان معلّم أولاد هيرودوس (المتوفي حوالي 4 قبل الميلاد إن صحَّ أن تاريخنا مخطئ بأربع - ست سنوات). علّمهم باليونانية. أرخيلاوس ابن هيرودوس وخليفته على اليهوديّة يحمل إسماً يونانياً. وكذلك أخوه فيلبس وسواهما.

1- **غزت اليونانية اليهود رغم تعصّبهم البغيض الممقوت. فإن أخذنا الأسفار الثانويّة في ترجمة العهد القديم الكاثوليكيّة وجدناها مترجمة عن اليونانية. الإكتشافات الحديثة تثبت أن لبعضها أصلاً عبرانيّاً أو آراميّاً. ومع ذلك فالنصّ اليوناني لسفر طوبيّا مثلاً هو الأفضل[(5)].**
2- **نسي اليهود المشتّتون العبرية والآراميّة. بدأ في القرن الثالث قبل الميلاد نقل العهد القديم إلى اليونانيّة، فسُمّيت الترجمة بالسبعينيّة لما قيل من أن سبعين عالماً يهوديّاً ترجموها.**
3- **يوسيفوس المؤرّخ اليهودي المعاصر للرب يسوع كتب باليونانيّة تاريخه الشهير (78 للميلاد).**
4- **فيلون الفيلسوف اليهودي المعاصر له أيضاً كتب باليونانيّة. وهو فيلسوف وعالم دين اسكندراني.**
5- **رسولا المسيح إندراوس وفيلبس يحملان إسمين يونانيّين. لما أراد اليهود الناطقون باليونانية لقاء يسوع أتوهما، فأوصلاهم إلى يسوع. غالباً - في رأي العلماء اليوم - أن يسوع حدّثهم باليونانيّة. والأمر كذلك غالباً مع بيبلاطوس وربما في جدره أيضاً وصور وصيدا.**
6- **استلمت الكنيسة من يهود الشتات الترجمة السبعينية، فصارت توراة الكنيسة. عليها استند العهد الجديد وإن سمح متى ويوحنا لنفسيهما بحريّة الإستشهاد من العهد القديم العبري أو اليوناني أحياناً.**
7- **في العدد الخاص بماكس شول (اليهودي الفرنسي لبلوغه الثمانين من العمر) من المجلة الفلسفيّة الفرنسيّة نُوّه بالتفاعل الكبير بين اليهوديّة واليونانيّة[(6)].**

3- اليونانيّـــة واللاتينيّـــة

قال الإمبراطور الروماني مارك أوريليوس: "إنّ روما غزت أثينا عسكرياً، وأثينا غزت روما ثقافياً.وهذا أشدّ الغزو. أحد كتب تعليم اليونانيّة بالفرنسيّة ذكر أن من تعلّم اليونانية قد حفظ نصف اللاتينيّة. وهل أوروبا سوى الثقافة اليونانية بشقّيها الوثني والمسيحي؟ رأيت المعجم الطبي لدى الطبيب الماهر مروان وديع نعمه (دمشق) في ست لغات (البلغارية واليونانية والروسيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة والألمانيّة). قلّبته، فوجدت ألفاظه جميعاً يونانيّة. قلت له: جميع ألفاظه في اللغات الستّ يونانيّة. أجاب: "من المعلوم أن المعجم الطبّي يوناني الأصل". وهكذا دواليك في كثير من العلوم والفنون والفلسفة واللاهوت.

---

[3] مات الإسكندر العام 333. كيف صارت سوريا في القرن الثاني أهمّ من أثينا؟ إنها عبقريّة السوريّين في الإقتباس والتفوّق.

وتأثير الأدب اليوناني على الأدب اللاتيني مشهور. وقامت النهضة الأوروبيّة على أساس يوناني. والقرن السابع عشر الفرنسي الذهبي هو قرن يوناني أولاً، في الأدب والفنون واللاهوت. خطيب كنيسة فرنسا الأكبر بوسييه كان يقلّد يوحنّا فم الذهب. قرأت مرتين في جريدة "الفيغارو" أنّه الوحيد الذي لم يخطئ لغويّاً. وزميلاه ماسيون وفينيلون كانا يقلّدان الذهبي. واستمرّت فرنسا حتى اليوم عاصمة النشر المسيحي اليوناني. فيها ظهرت في القرن الماضي مجموعة Migne في 161 مجلّداً يونانيّاً ضخماً. وفي 1942 خطّط العلاّمتان هنري دي لوباك وجان دانييلو ترجمة الآباء الذين كتبوا باليونانيّة إلى الفرنسيّة. فانتهى المشروع إلى نشر النصّ اليوناني وترجمته مع مقدّماته في أروع حلّة قشيبة من التدقيق والتمحيص والنقد[7]. صدر حتى الآن منها حوالي 408 أجزاء والحبل على الجرّار بمعدّل 5 كل عام تقريباً.

4- اليونـــان والفـــرس والعـرب

بعد أن مزّق الإسكندر دولة الفرس استعادت عزّتها. في العام 240 غزا شابور الأول أنطاكيا وأسر عدداً كبيراً من السكان. أقطعهم جندبسابور. أعجبته الثقافة اليونانيّة، فاهتمّ بنقلها. أطبّاء الخلفاء العباسيّين تخرّجوا من مدرستها فهي بطلة الترجمة من اليونانيّة إلى السريانيّة فالعربية: إذاً فارس من الإسكندر فلاحقاً تأثرت باليونان.

من المعلوم أنّ النحو العربي متأثّر بأرسطو. فهل كان سيبويه يوناني الثقافة حتى أقام النحو على منطق أرسطو؟ الدكتور طه حسين كتب مقدّمة لكتاب ابن قدامة في النثر العربي. قال ما مفاده: كنّا نظنّ أنّ الأدب العربي تأثّر بالأدب الفارسي، فإذا بهذا الكتاب يثبت أنّه تأثّر بالأدب اليوناني.

نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي "فنّ الخطابة" لأرسطو. أحمد ابن الخليل واضع "علم العروض" متأثّر باليوناني (بطرس البستاني، أدباء العرب). ونعرف أنّ أول الفلاسفة العرب "ابن الكندي" كان يعرف اليونانيّة. وكذلك الفارابي. أهل الإختصاص يجزمون بأن الفلاسفة العرب كانوا تلاميذ لليونان. ونعرف حرص المأمون على الترجمة من اليونانيّة إلى العربيّة. حتى أديب كبير كالجاحظ لا ينفكّ عن ذكر اليونانيّات ويستشهد بها[8]. وكان الأزهر إلى حدّ قريب ينفرد فيدرّس منطق أرسطو. ولا أعلم إن استمرّ. كتاب الحكمة لابن سينا وشرحها للإمام الرازي يعالج مواضيع يونانيّة معنوناً الفصول باللفظ اليوناني. ابن رشد أرسطو عربي. رسائل إخوان الصفاء معنونة أحياناً بألفاظ يونانيّة. وهي مزيج فلسفي يوناني واسع من أفلوطين خاصة مع مواد من القبالة اليهوديّة.

في 1991/9/27 أعلمني الدكتور عارف التامر في دمشق أنّه يعدّ طبعة جديدة انتقاديّة لرسائل إخوان الصفاء، مع مقدّمة من مئة صفحة. سألته: "هل طالعت أفلوطين؟" أجاب: "لا، هذا أساسها". قلتُ: "لدى أصحابك اليسوعيّين طبعة يونانيّة-فرنسيّة- ممتازة مع مقدّمات وحواشٍ. إخوان الصفاء مُتَيَوْنِنُون لدرجة استعملوا الألفاظ اليونانية لا العربية للحساب والهندسة والجغرافيا والنحو"... وافق على ذلك. ثمّ قلت له: "لا أستبعد أن يكون الإمام جعفر نفسه عالماً باليونانيّة. استغربت لمّا سمعت قبل سنوات أنّ مكتبة المعتزلة الكاملة ظهرت في اليمن. المختصّون قالوا إنها فلسفة يونانيّة."

وحديثاً قرأت للرئيس اليمني القاضي الشيخ عبد الرحمن الأرياني أن مذهب اليمن الزيدي يعتمد على فلسفة المعتزلة[9]. نعرف أن مؤسّسها هو واصل ابن عطاء تلميذ الإمام جعفر الصادق. والباقي لأهل الإختصاص الأوسع علماً مني. فأنا متطفّل.

وأهداني الدكتور أسعد علي في 1994/10/20 أطروحته اللامعة عن الأمير حسن المكزون السنجاري الفيلسوف المتصوّف عنوانها "معرفة الله" لديه. قلتُ له فوراً: "الأمير متأثر بأفلوطين". أجاب: "كلا". قلتُ: "أنت درست تاريخ الفلسفة ودرست فيه أفلوطين". أجاب بعزم: "طبعاً". صمتَ قليلاً ثم نطقَ مشيراً إلى الكتاب: "هذا ملآن منه".

لم أتبحّر في التصوّف الإسلامي. إلاّ أني لاحظت ميله إلى التحليل. معجم الروحانية الفرنسية يقول إنّ روحانية الغرب المسيحي متأثّرة بديونيسيوس المنتحل السوري
(حوالي 500 - 510). ونعرف اليوم أن هذا متأثّر قليلاً ببروكلوس الأفلوطيني. فالتحليل ميزة أفلاطون وأفلوطين وتلاميذهم. بذلك تظهر النزعة العقليّة التحليليّة الوصفيّة على حساب العشق الذي يعجز اللسان عن التكلّم عنه. الصمت لدى المتصوّفين المسيحيّين القدامى استمرّ لدى الرهبان الأرثوذكس حتى اليوم. هذا غيض من فيض تيونن الفكر العالمي. ولكن يبقى ديونيسيوس قمة في المسيحية شرقاً وغرباً.

الخلاصـــة

هناك في العالم القديم غزو ثقافي يوناني استقلَّ عن العرق اليوناني، وصار تراث الإنسانيّة. ساهم فيه أهل الدنيا باللغة اليونانيّة وسواها. فتفوّقُ اللغة الإنكليزيّة اليوم بالعلم جعلها لغة عالميّة، وإن كانت الروسيّة أعمق روحاً، والفرنسيّة والألمانيّة أعمق فكراً. ومعاجمها تعجّ بالألفاظ اليونانيّة الأصل. من يقرأ في العالم شيئاً من الفلسفة دون مطالعة أفلاطون؟
وهل ننسى أن الفيلسوف السوري زينون كتب باليونانيّة؟ فلمّا مرَّ بولس الرسول على أثينا كانت مدرستا الرواقيّة (زينون) والأبيقوريّة أكثر المدارس الفلسفيّة انتشاراً (أعمال
الرسل 18:17). الإمبراطور الروماني مارك أوريل كان من أتباعها. نوّهت في "سرّ التدبير الإلهي" بها وبكتاب سبانيت الهام عن تأثيرها في رجال الفكر عبر القرون.ليس للفكر وطن. ومن يتشنّج ضدّ الفكر يتخلّف. التعصّب ضدّ الفكر انتحار. يختار المرء الأفضل من كل شيء ولمّا أراد في عصرنا الأقباط والسريان والأرمن تمييز أنفسهم زادوا لفظة "أورثوذكس" اليونانيّة، فصار اسمهم: الأقباط الأرثوذكس والسريان الأرثوذكس و....

يتبع